شرح ألفاظ الصلاة[١]

الجمعة ١٩/ ١٠/ ١٤٢٧هـ

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ... أمَّا بَعْدُ:

فَمَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

إِنَّ مِنْ عَظِيمِ حِكْمَةِ الله تَعَالَى شَرْعِيَّةُ الصَّلَاةِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ، وَلِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ رَاحَةً وَطَمَأْنِينَةً وَقُرَّةَ عَيْنٍ لِمَنْ أَدَّاهَا بِخُشُوعٍ وَاسْتَحْضَرَ مَعَانِيَ تِلَاوَتِهِ وَأَذْكَارِهِ وَدُعَائِهِ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَلَمَّا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ المُصَلِّينَ قَدْ لَا يُدْرِكُ مَعَانِيَ أَلْفَاظِ الصَّلَاةِ... كَانَ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ غِيَابُ كَثِيرٍ مِنْ مَعَانِي وَلَذَّةِ أَلْفَاظِ الصَّلَاةِ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ فَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يُعْنَى بِشَأْنِ الصَّلَاةِ كُلِّهِ... أَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا، حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَلَمَّا كَانَ الْمُصَلِّي يَبْدَأُ صَلَاتَهُ بِقَوْلِهِ: «اللهُ أَكْبَرُ»، وَكَانَتْ هَذِهِ الجُمْلَةُ تَكُونُ فِي جَمِيعِ تَكْبِيرَاتِ الِانْتِقَالِ، كَانَ مِنَ الأَوْلَى العِنَايَةُ بِمَعْنَاهَا خَاصَّةً وَبِغَيْرِهَا عَامَّةً. فَقَوْلُكَ: «اللهُ أَكْبَرُ» يَعْنِي: اللهُ تَعَالَى أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ فَإِنْ تَأَمَّلْتَ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى فَهِيَ أَكْبَرُ الأَسْمَاءِ مَعْنًى وَكَمَالًا وَجَلَالًا، وَإِنْ تَأَمَّلْتَ صِفَاتِ الله تَعَالَى فَهِيَ أَعْظَمُ الصِّفَاتِ وَأَعْلَاهَا قَدْرًا وَأَكْمَلُهَا مَعْنًى؛ فَأَسْمَاؤُهُ ـ تَعَالَى ـ حُسْنَى، وَصِفَاتُهُ عُلَا، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ اسْمٍ وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ صِفَةٍ لِغَيْرِ الله.

وَمِمَّا يَتَضَمَّنُهُ قَوْلُ: «اللهُ أَكْبَرُ» أَنَّ الكِبْرِيَاءَ لله تَعَالَى كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

وَبِكُلِّ حَالٍ؛ فَكَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَن نَّفْسِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]. فَشَأْنُ الله تَعَالَى أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَأْنٍ، وَأَفْعَالُهُ وَأَحْكَامُهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ وَحِكْمَةٍ لِغَيْرِهِ... فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ، وَمَا أَجَلَّ أَمْرَهُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَأَمَّا مَا يَقُولُ بَعْدَ التَّكْبِيرِ: فَمِنْ أَشْهَرِ أَدْعِيَةِ الِاسْتِفْتَاحِ مَا وَرَدَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ اسْتِفْتَاحِ الصَّلَاةِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**».

وَهَذَا الحَدِيثُ مِنْ حَيْثُ الرِّوَايَةُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مَوْقُوفًا عَلَى عُمَرَ.

وَأَخْرَجَهُ عَنْ عُمَرَ مَوْصُولًا ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالدَّارَ قُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقِ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ افْتَتَحَ الصَّلَاةَ وَكَبَّرَ فَقَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ...» الحَدِيثَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَأَمَّا الحَدِيثُ مِنْ حَيْثُ الدِّرَايَةُ: فَقَوْلُنَا فِي اسْتِفْتَاحِ صَلَوَاتِنَا: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ»: التَّسْبِيحُ بِمَعْنَى التَّنْزِيهِ وَالثَّنَاءِ، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ العَبْدَ يُنَزِّهُ اللهَ تَعَالَى عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، فَكَأَنَّكَ تَقُولُ: أُنَزِّهُ ـ يَا رَبِّ ـ أَسْمَاءَكَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا نَقْصٌ

أَوْ عَيْبٌ، وَأُنَزِّهُ صِفَاتِكَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا نَقْصٌ أَوْ عَيْبٌ، أَوْ تَكُونَ كَصِفَاتِ المَخْلُوقِينَ، فَلَكَ يَا رَبَّنَا الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العُلَا.

وَقَوْلُنَا: «وَبِحَمْدِكَ» فَالحَمْدُ: هُوَ وَصْفُ المَحْمُودِ بِالكَمَالِ، فَكَأَنَّكَ تَقُولُ: أَصِفُكَ يَا رَبَّنَا بِصِفَاتِ الكَمَالِ وَالجَلَالِ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ أَفْعَالِكَ وَأَوَامِرِكَ وَنَوَاهِيَكَ وَأَقْدَارَكَ عَدْلٌ وَكَمَالٌ لَا ظُلْمَ فِيهَا وَلَا شَطَطَ، فَأَنْتَ يَا رَبَّنَا مَحْمُودٌ فِي صِفَاتِكَ وَمَحْمُودٌ فِي أَفْعَالِكَ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَخُلَاصَةُ القَوْلِ أَنَّ المُصَلِّيَ إِذَا قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ» فَمَعْنَاهُ: نَزَّهْتُكَ يَا رَبِّ تَنْزِيهًا مَقْرُونًا بِالحَمْدِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: «قَوْلُهُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ» يَتَضَمَّنُ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الكَلَامِ بَعْدَ القُرْآنِ، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَفْضَلُ الكَلَامِ بَعْدَ القُرْآنِ أَرْبَعٌ، وَهُنَّ مِنَ القُرْآنِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**». وَأَيْضًا فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**».

فَهَذِهِ الكَلِمَةُ هِيَ أَوَّلُ مَا فِي الِاسْتِفْتَاحِ، وَهِيَ أَفْضَلُ الكَلَامِ، وَأَيْضًا فَاللهُ قَدْ أَمَرَ بِالتَّسْبِيحِ بِحَمْدِهِ، وَعَبَّرَ بِذَلِكَ عَنِ الصَّلَاةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطُّور: ٤٨]؛ فَكَانَ ابْتِدَاءُ الِامْتِثَالِ بِهَذَا الذِّكْرِ أَوْلَى.

وَقَدْ قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ ـ كَالضَّحَّاكِ ـ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: هُوَ قَوْلُ المُصَلِّي: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[(١)].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «وَإِذَا قَالَ العَبْدُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ» شَاهَدَ بِقَلْبِهِ رَبًّا مُنَزَّهًا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ، سَالِمًا مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، مَحْمُودًا بِكُلِّ حَمْدٍ؛ فَحَمْدُهُ يَتَضَمَّنُ وَصْفَهُ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ بَرَاءَتَهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ»[(٢)].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٢) «كتاب الصلاة وحُكم تاركها» (ص).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحَمْدُ لله... أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَقَوْلُ الْمُصَلِّي فِي اسْتِفْتَاحِهِ بَعْدَ ذَلِكَ: «وَتَبَارَكَ اسْمُكَ» أَيْ: كَمُلَ وَعَظُمَ وَجَلَّ اسْمُكَ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: «إِذَا كَانَ اسْمُ الْمُسَمَّى بَرَكَةً كَانَ الْمُسَمَّى أَعْظَمَ بَرَكَةً وَأَشَدَّ وَأَوْلَى».

وَقَوْلُهُ: «تَبَارَكَ» أي: مَجُدَ، وَالمَجْدُ كَثْرَةُ صِفَاتِ الجَلَالِ وَالكَمَالِ وَالفَضْلِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَأَمَّا قَوْلُ الْمُصَلِّي: «وَتَعَالَى جَدُّكَ» يَعْنِي: ارْتَفَعَ وَعَلَا وَغَلَبَ، وَالجَدُّ: بِمَعْنَى العَظَمَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَنْ مُؤْمِنِي الجِنِّ قَوْلَهُمْ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجنّ: ٣].

فَمَعْنَى قَوْلِ الْمُصَلِّي: «وَتَعَالَى جَدُّكَ» يَعْنِي: ارْتَفَعَتْ عَظَمَتُكَ فَوْقَ كُلِّ

عَظَمَةٍ، وَأَنَّ سُلْطَانَكَ غَلَبَ وَارْتَفَعَ عَلَى كُلِّ سُلْطَانٍ، فَشَأْنُكَ يَا رَبَّنَا أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ ذِي شَأْنٍ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَأَمَّا قَوْلُ الْمُصَلِّي: «وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» فَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَجِمَاعُ الأَمْرِ وَالعِلْمِ، وَالعَمَلُ بِهَا فَلَاحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالبَرْزَخِ وَالآخِرَةِ، هِيَ الكَلِمَةُ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا جَمِيعُ أَنْبِيَاءِ الله وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأَنبِيَاء: ٢٥].

فَهِيَ إِثْبَاتٌ وَنَفْيٌ؛ إِثْبَاتُ الأُلُوهِيَّةِ بِحَقٍّ لله وَنَفْيُهَا بِحَقٍّ عَنْ غَيْرِهِ، فَلَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

فَمِنْ لَازِمِ تِلْكَ الكَلِمَةِ العَظِيمَةِ: لُزُومُ الِاسْتِسْلَامِ لله تَعَالَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بَلْ هِيَ تَتَضَمَّنُ أَنْوَاعَ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ:

تَوْحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ: ذَلِكَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ بِحَقٍّ ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَحِقَّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ سِوَاهُ هُوَ الرَّبُّ الْمُدَبِّرُ الْخَالِقُ .

وَتَوْحِيدَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: لِأَنَّ مَنِ اسْتَحَقَّ العِبَادَةَ دُونَ سِوَاهُ كَانَ لَهُ مِنْ جَمِيلِ الصِّفَاتِ وَحُسْنِ الأَسْمَاءِ مَا يَقِلُّ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ٨٠].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى وَبِصِفَاتِكَ العُلَا أَنْ تَرْزُقَنَا لَذَّةَ العِبَادَةِ وَالتِّلَاوَةِ.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.